

عظة ((حلقات نقل البركة)): الكنيسة بين الحاجة والإمكانيات (يوحنا ٦: ١-١٣)

من عظات الأخ سامي نصري في كنيسة الاتحاد المسيحي

نرى هذه الحادثة (إكتاف الخبز) مكررة في الأناجيل الأربعة وهذا أمر استثنائي.. (طبعاً عدا حوادث الصلب والقيامة). ومدلول ذلك أن الروح القدس يريد أن يضع أمام الكنيسة واقعها الدائم حاجة كبيرة وإمكانيات بسيطة. أمر الرب يسوع تلاميذه "أذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها: بأية إمكانيات؟.. هنا نتعلم أن يسوع يقدر أن يستخدم الإمكانيات البسيطة ليشبع ويُغني. فإن كانت هذه الحادثة مرجعاً لنا أمام التحديات الكبيرة التي نرى فيها حاجة العالم للمسيح ومحبه ولفظه وشفائه لنذكر أننا نستطيع بإمكانيات بسيطة التقدم لتلبية هذه الحاجة. السؤال المهم هل تريد أنت أن تساهم في ما يعمله يسوع في هذا العالم؟.

بتفاصيل هذه القصة نرى حلقات أو أشخاص من خلاصهم وصلت بركة يسوع للجموع وأولها وهو الأصغر الغلام والكلمة المستخدمة تشير لفترة طفولة لا تتجاوز أول سني المدرسة أي تقريباً (٥ ٦) سنوات من العمر. هل يمكن لولد بهذا العمر أن ينقل بركة الله للعالم:

الحقيقة الأولى: إذا كنت تريد أن تأخذ مكاناً في عمل الله "لا يهم من أنت!" "ولد" فنحن ننظر لأنفسنا كأشخاص بسطاء لا لسم لنا ولا مقام بنظر الآخرين. لكن كلمة الله تؤكد هذه الحقيقة، لا يهم من أنت بنظر نفسك أو العالم أنظر إلى جدعون أو أرميا وكيف واجها طلب الله منهما ليعملا إرادته. أرميا قال أنا ولد (أمام تحدي التكلم إلى أُمم وملوك). الله لا يقبل هذه الأعذار فالذي يبدأ (الرب) يكتمل. أيام تجسد الرب كانت قيمة المرأة متدنية ولم يكن مقبولاً لشخص محترم أن يعطي وقته للتكلم مع امرأة لكننا نرى يسوع عند بئر يعقوب يعطي وقته لامرأة. تعجب التلاميذ من ذلك فكيف ليسوع المعلم العظيم أن يفعل هكذا كانت لا شيء إلا أن هذه المرأة كانت سبب خلاص لمدينتها: بالمقابل هنالك أشخاص يظنون إنهم أهل للقيام بعمل عظيم لله ربما يكون هذا ما حدث مع أشعيا الذي سبق واستخدمه الله وهو مقرب من البيت الملكي لكن عندما أراد الله استخدامه لشكل أكثر فعالية دخل إلى المقادس ورأى هناك إنه غير مؤهل ونذكر كلماته "ويل لي لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين". الحلقة الأولى في نقل البركة كانت "ولداً"، فلا يهم من تكون يسوع يقدر أن يستخدمك..

الحقيقة الثانية: التي يعلمها لنا هذا الولد إن أردنا أن نساهم فيما يعمله يسوع للعالم: إمكانياتك ليست هي المهمة! أندراوس نظر إلى كثافة الجموع التي طلب يسوع إطعامها قبل صرفها. ونظر إلى الإمكانيات الموجودة "خمس خبزات وسمكتين" وقال ما هذا لمثل هؤلاء. فليس نظر إلى مبلغ عالٍ جداً لا يسدد شيئاً من الحاجة.

فليست الإمكانيات العامل اخاسم المهم ان اضعها بين يدي يسوع. البعض لديهم موهلات ظاهره وترى اهم هم المناسبون للعمل والخدمة. عندما أرسل الله صموئيل إلى بيت يسي ليمسح واحداً من أولاده ولكن رأى أولاً اليآب شاب قوي ضخم البنية فقال أمام الرب مسيحه لكن جواب الرب كان بالنفي وهكذا للسبعة الكبار لأن الإنسان ينظر إلى العينين أما الرب فإنه ينظر إلى القلب. وكان الخيار فتى أشقر مع حلوة العينين أصغر الأولاد. وموسى يعلمنا هذه الحقيقة إذ كان قد تربي بكل حكمة المصريين وفي بيت فرعون، وأفتكر أن هذه الإمكانيات تؤهله ليعمل منقداً لشعبه، لكن الرب أخذه ٤٠ سنة إلى البرية ليعتمد لا على إمكانياته بل على إمكانيات الله. وهكذا تقدم الغلام بإمكانيات بسيطة أمام الاحتياج العظيم لكنها كانت كافية.

الحقيقة الثالثة : والمدهش في هذه الحادثة أن هذا الغلام قدم خبزاته والسمكتين ومعروف أن الأولاد لا يعطون بل يأخذون. يتمسكون بما عندهم ويطلبون المزيد، ولكن ما نراه هنا عكس الاتجاه المعروف وهذا هو الدرس إذا أردت أن تساهم في ما يعمله يسوع لبركة العالم لا يكفي أن تكون قربه وتسمع ما يقوله إنما هل ترك يسوع بصماته وطابعه على سلوكك وحياتك، يقول "مبارك هو العطاء أكثر من الأخذ". لا تستطيع أن تكون فعالاً دون أن يكون عملك معطى بظل الصليب. بهذا الفكر جاء يسوع لعالمنا ليقدم نفسه تاركاً مجده. وجودنا قربه لا معنى له دون تعلم هذا المبدأ فالغلام لم يكن فقط بمحضر يسوع وسمع كلامه لكن يسوع أحدث تغييراً في مواقفه وأفكاره وعندما جاء وقت البحث عن الطعام قَدَّم ما لديه. هذا المبدأ نفسه هو الذي دعا الرب ليقول عن المرأة التي سكبت الطيب أنه حينما يركز بهذا الإنجيل يُخبر بما فعلته تذكراً لها فقارورة الطيب الثمينة التي ربما كانت بحياة ليوم عرسها رأت يسوع مستحق لها أكثر من العريس والحياة فسكبتها له. وهكذا كان الرسول بولس يخدم فلم يَرِ بتجواله للتبشير والكراسة العمل الكافي لأنه اضطرار! كان يريد أكثر، أن يكون شريكاً في الإنجيل أي تعكس حياته الرسالة التي يقدمها لذلك تحلى عن امتيازات له ليكون قريباً من الناس وسلطانه أن يعيش بنفقة الإنجيل بل هو أنفق على الآخرين. هذا هو ظل الصليب ليس الأخذ بل العطاء ولا التسلسل بل التنازل ولا الإمساك بل البذل. وهذا الغلام استطاع أن يكون حلقة في نقل البركة لأن قبوله لما سمعه من يسوع غير داخله غير الطبيعة البشرية الأنانية الجسدية. فلم يقل لدي طعام لكنه لي بل قدم ما عنده!

إذا أردت أن تساهم فيما يعمله يسوع يجب أن تمتلئ بفكره ناظراً إلى شخصه واتضاعه وطريقة تصرفه. هكذا عمل التلاميذ وضعوا إمكانياتهم المتواضعة وانطلقوا إلى العالم وفتنوا المسكونة. عملٌ مستحيلٌ بالقدره البشرية لكنه عملٌ ممكنٌ بالذي دفع إليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض.

يقف هذا الغلام متحدياً لنا.. هو غلام لم ينظر لمن هو معه خمس خبزات وسمكتين لم يفكر كم ستطعم لكنه قَدَّم ما عنده بروح متغيرة باذلة تعكس فكر السيد.

هل تريد أن تكون حلقة تساهم فيما يعمله يسوع؟